

الملابس المغربية - الأندلسية من خلال مخطوط "حديث بياض و رياض"

Moroccan-Andalusian clothes from "hadith Bayad and Riyad" manuscript

أ. بوراي إلياس¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

bourailyes@live.fr

أ. د يوسف صالح بن قرية

جامعة الجزائر 2 - معهد الآثار، الجزائر

benguerbasalah@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/10/31 القبول 2020/12/27 النشر على الخط 2022/03/15

Received 31/10/2020 Accepted 27/12/2020 Published online 15/03/2022

ملخص:

سوف نتناول في هذا المقال نماذج من الملابس المغربية الأندلسية التي كانت معروفة في العهد الموحيدي و المريني من حيث أسمائها و أشكالها و ألوانها و كذا رمزياتها الفنية و الاجتماعية و السياسية و الدينية، و تكمن اشكالية هذا البحث في محاولة التعرف على أنواع الملابس المغربية الأندلسية التي جاء ذكرها في المصادر التاريخية من خلال منمنمات مخطوط "حديث بياض و رياض" الأثري، حيث وصلت إلينا نماذج من صور فنية منمنمة لشخصيات ترتدي ملابس متنوعة إضافة إلى مشاهد اجتماعية أخرى مُصاحبة للصور، و تعتبر هذه المنمنمات ذات أهمية بالغة لما تحمله من دلائل مادية شاهدة على فترات مهمة من تاريخ المنطقة

الكلمات المفتاحية: ملابس، منسوجات، منمنمات.

Abstract :

In this article we will deal with examples of Moroccan-Andalusian clothes that were known during the Almohad and Marinid era in terms of their names, shapes, colors, as well as their artistic, social, political and religious symbolism, and the problem of this research lies in the attempt to identify the types of Moroccan-Andalusian clothing that It was mentioned in historical sources through the miniatures of the archaeological "Hadith Bayad and Riad" manuscript, where models of stylized artistic images of characters wearing various clothes in addition to other social scenes accompanying the images reached us. These miniatures are of great importance due to the material evidences they bear. During important periods in the history of the region.

Key words: clothes, textiles, miniatures.

1. مقدمة :

يُعتبر موضوع دراسة الملابس المغربية و الأندلسية من المجالات الهامة الجديرة بالبحث و التقصي لما لهذه المنطقة من خصوصية تاريخية و جغرافية فريدة ، فبلاد المغرب و الأندلس منطقة تجمع بين أجناس مختلفة من البشر ففيها العرب و البربر و الرومان و الإسبان و الأفارقة... كما أن المنطقة تجمع جغرافية بين البحر و الصحراء و بين البرد و الحرارة

و يعتبر هذين العاملين من العوامل الرئيسية في تحديد أنواع الملابس و أشكالها ، فالجنس البشري يحدد نوعية اللباس الذي ورثه عن أسلافه و الذي يعتبر بالنسبة له تراثا و إرثا يجب المحافظة عليه ، أما العامل الجغرافي و المناخي فهو يتحكم في شكل الملابس و نوعها الذي يتغير حسب تغير المنطقة و المناخ ، فنجد الملابس الخشنة في فصل الشتاء البارد، و الخفيفة في فصل الصيف الحار.. كما أن فترات الحكم الإسلامية التي مرت بالمنطقة تركت بصماتها في ظهور العديد من أشكال الملابس و الأزياء في بلاد المغرب و الأندلس.

و بالرغم من أن المادة الأولية لصناعة الملابس أو المنسوجات تعتبر مادة عضوية سريعة التلف و الاندثار و صعبة الاسترجاع فإنه قد وصلتنا منها بعض النماذج القيّمة من الأزياء التي كان يلبسها أهل المغرب و الأندلس، والتي تحتفظ بها مختلف المتاحف العالمية على شكل قطع وخرق صغيرة ، و عليه فأغلب الدراسات في هذا المجال تعتمد بدرجة أولى على هذه القطع و على المخطوطات و كتب الرحالة و الجغرافيين التي أوردت أوصافا و أسماء الملابس التي كانت منتشرة في تلك الفترات ، كما يمكننا مشاهدة هذه الملابس من خلال المنمنمات التي صوّرت في بعض المخطوطات و من بينها مخطوط " حديث بياض و رياض " موضوع هذه الدراسة.

و من هذا المنطلق، فهل يمكن أن تكون صور الأزياء الظاهرة في مخطوط بياض و رياض -موضوع البحث - يتطابق وصفها و شكلها مع ما أوردته المصادر التاريخية؟ أو مع ما نجده من قطع صغيرة للملابس المحفوظة في المتاحف؟، ولإجابة على هذه التساؤلات سوف أستعرض بعض ما أوردته المصادر التاريخية في هذا الموضوع و مقارنته مع تلك الرسومات معتمدا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعد الأنسب في مثل هذه الدراسات.

2. الملابس المغربية - الأندلسية.

اشتهر أهل الأندلس بأنهم يتصفون بحسن المظهر في ارتداء الأزياء و مكملاتها¹ كما ذكر ذلك الكثير من المؤرخين، و كان الأندلسيون يطلقون على الثوب اسم الخلة² وهي تتكون من قطعتين الرداء و الإزار، و تصنع الخلة من الكتان و القطن و الديداج أو من الحرير الموشي بخيوط ذهبية، كما أنه شاع لبس الجبة عند الأمراء و كانت واسعة ذات أكمام واسعة أيضا و مفتوحة من الأمام و كانوا يرتدون أسفلها قميص طويل عليه حزام في الوسط و يكون عليه زخارف و موشي بالتطريز و يرتدون على الرأس قلنسوة و عمامة أسفلها طيلسان³ . و كان الحاجب المنصور بن أبي عامر يلبس الخنز⁴ .

وقد أورد المؤرخ ابن حيان خبرا عن اختيار أهل الأندلس لملابسهم فيقول: " لبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به فانه رأى أن يكون ابتداء الناس للباس البياض وجعلهم للملون من يوم المهرجان وهو عيد العنصرة* الكائن من يوم الرابع و العشرين من شهر يونيه

1 عبد المنعم الصاوي ، معالم الحضارة في الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1 ، مصر1995 ، ص 135.

2 ثريا محمود، "أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92هـ إلى 625هـ"، في مجلة كلية الآداب، العدد102، جامعة ديالى، صص 191-218 .

3 نفسه ، ص192.

4 ابن عداري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1، تحقيق كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، 1983، ط3، ص255.

* هو عيد نصراني و عرف بعيد الخمسين عند الإغريق، أما المسلمين في الأندلس فأطلقوا عليه اسم المهرجان وهو بداية الصيف بالنسبة لهم.

الشمسي من شهورهم الرومية فيلبسونه إلى أول شهر أكتوبر الشمسي منها ثلاثة أشهر متوالية ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز و الملحم والمحرر و الدرايع التي لا بطائن لها لقربها من لطف ثياب البياض الظهائر التي ينتقلون إليها لخفتها وشبهها بالمحاشي ثياب العامة وكذا رأى أن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف الحشو والبطائن الكثيفة وذلك عند قرس البرد في الغداوات إلى أن يقوى البرد فينتقلون إلى أثخن منها من الملونات ويستظهرون من تحتها إذا احتاجوا إلى صنوف الفراء¹.

كما ذكر الرحالة والجغرافي العربي ابن حوقل: " اللبود المغربية الثمينة والحري، وما يؤثرونه من ألوان الخز والقز"² في سياق حديثه عن أنواع الملابس المفضلة عند أهل الأندلس، أما المقرئ فيقول: " والغالب على سكانها - يقصد قرطبة - ترك العمائم وأنهم كثيراً ما كانوا يرتدون غفائر الصوف الأحمر والخضر أما الغفائر الصفر، فكانت "مخصوصة لليهود"، وأكثرهم لا يمشي دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون"³. و ابن عذارى المراكشي هو الآخر ذكر أصنافا من الأكسية هي " الخز الطرازي وصوف البحر والكساء العنبري، والسقلاطون، والمريشات وأنماط الدياج، والدياج الرومي والفروي الفنك"⁴.

أما العامة من أهل الأندلس فقد كانوا يتخذون الخفاف ويلبسون الجباب والثياب القطنية والسراويل وكانوا يطلقون كلمة الغفارة على البرنس أو نوع من الطيلسانات ذات الغطاء⁵ وترتدي العامة ما يسمى بالمشاة وهي لباس غليظ وسميك يرجح انه كان يلبس في فصل الشتاء وجمعها محاش⁶، ونلاحظ عادة لبس السراويل عند عامة الناس ومنهم البيازرة فكانوا يلبسون قمصانا تغطي الركبتين ثيابها ومن تحتها سراويل سراويل تصل حتى الأقدام وتكاد تلتصق بالسيقان بحيث تبدو كما لو كانت جوارب ولعل هذه السراويل الضيقة هي نفس الزي الذي أطلق عليه المقرئ اسم " الإشكرلاط"⁷.

كما عرفت نساء الأندلس استعمال الفراء والجلود في ملابسهن فاستخدموا أنواع مختلفة ومتنوعة من الفراء مثل فراء السمور وفراء القنلية والمرعزي المصنوع من شعر الماعز وحيوان يدعى الفنك وهو نوع من الثعالب إلى جانب الملابس الصوفية التي تساعد على التدفئة في الشتاء⁸ الشتاء⁸، ويعتبر الدياج أي الحرير المطرز من افخر أنواع الثياب للنساء حيث كانت تزين به ملوك الأعاجم وكان مضرب المثل في الفخامة الفخامة والرقي⁹، وكانت النساء الأندلسيات يرتدين غطاء الرأس الذي يحتاج إلى ثوب ورداء من جنسه والتي تسمى بالمقنعة¹⁰.

أما العمامة فهي أكثر ما يميز أزياء القضاة والعلماء وهم الفئة الوحيدة التي حافظت على ارتداء العمامة كنوع من الحفاظ على الهوية والوقار والتميز لهم بين عامة الناس¹¹، وكان الكثير من العلماء يرخون ذؤابات عمائمهم إذا ما تعمموا ولم يكونوا يجعلونها بين الأكتاف وإنما

¹ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان الحجي، دار الثقافة بيروت، ط1، ص126.

² ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ج1، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، ط2، 1928، ص110-114.

³ المقرئ، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت 1968، ط1، ص208.

⁴ ابن عذارى، مصدر نفسه، ص297.

⁵ حسين دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة 1994، ص297.

⁶ رينهارت دوزيه، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، ط2011، ص118.

⁷ المقرئ، مصدر نفسه، ص207.

⁸ رضا كحالة، المرأة في عالمي العرب والإسلام، ج7، مؤسسة الرسالة، ط2، القاهرة 1981، ص159.

⁹ ابن عبدون، رسالة القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنصال، مطبعة المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955، ص55.

¹⁰ ثريا محمود، مرجع سابق، ص199.

¹¹ الحشني، قضاة قرطبة و علماء إفريقية، تحقيق عزت العطار، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر و التوزيع، ط1، القاهرة 1905، ص195.

يسدلونها تحت أذنه اليسرى¹، ويلبس الأدباء والكتاب والمؤدبون والوعاظ والقضاة وطلاب العلم الطيلسان حيث عرف بأنه لباس الأشراف الأشراف وأهل المروءة وكانوا يرتدونه مع الجبة ويصنع الطيلسان عادة من الخز أو الديباج وتختلف ألوانه فمنه ما هو اخضر أو أبيض أو أزرق².

وأما القلنسوة فقد لبسها بعض الفقهاء المفتيين ومنهم أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقي الذي ولي القضاء في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط حيث كان يجلس للحكم في المسجد وفوق رأسه قلنسوة صوف بيضاء³، ومحمد بن بشير قاضي قرطبة في عهد الخليفة الحكم بن هشام الرضي كان يعقد جلساته أحيانا في جامع قرطبة في إزار مورد ورداء معصفر وشعر مصبوغ⁴ وكان يصلي الجمعة وعليه قلنسوة خز وفي رجليه حذاء صرار وعليه لمة مفرقة ثم يقوم يخطب وهو في هذا الزي⁵.

أما الجند فقد كان لهم ثياب خاصة بهم تساعد على الحركة والقتال وتحميهم من ضربات السلاح فكان زي الجند الأندلسيون متأثراً بزي جيرانهم القشتالين مثلهم واتخذوا من أنواع السلاح مثلهم كالدرع والتروس و يروي المقرئ عن الجندي الأندلسي أن محاربتهم بالتراس والرمح الطويلة للتعن ولا يعرفون دبابيس العرب بل يعدون قوس الفرنجة للمحاصرات في البلاد⁶. ومن خلال الصور الموجودة على تحف من العاج وجدت في بلاد الأندلس يتبين لنا أن زي الجند الأندلسيين تأثراً كثيراً بزي القشتاليين فرى الفارس يرتدي قميص وأسفل منه سروال ولكن يظهر عدم ارتدائه العمامة وهناك فرسان يرتدون العمامة والقميص والسروال ويحملون الأقواس التي كان يستخدمها العرب قبل دخول الأندلس⁷.

أما عن أصناف الملابس في بلاد المغرب⁸ فلا شك أنها كانت شبيهة إلى حد كبير بأصناف الألبسة الأندلسية التي ذكرناها سابقاً وهذا راجع لعامل التأثير والتأثر الذي يصاحب المبادلات التجارية بين العدوتين و حركة تنقل الجنود والأهالي بينهما، و من بين ما تم ذكره عن لباس أهل المغرب هو ما أورده المقدسي حول "الرساتيق -الأقاليم - أنهم كانوا يرتدون أكسية" وأن عامة سكان المغرب من البربر الذين أطلق عليهم السوق، كانوا يرتدون المناديل، والمنديل، بالإضافة الجبة التي اعتبرت من الأزياء المحببة لدى الأمراء.

ومهما يكن من شيء، فالذي لا شك فيه أن لباس الصوف كان يعد لباساً عاماً شاع استعماله في بلاد المغربين الأدنى والأوسط حيث ارتداه الزعماء والقادة والخلفاء والأمراء، فقد أشار القلقشندي إلى لباس "البرنس" الذي يكون من الصوف عادة في كلامه عن "لبس السلطان بالمغرب"، خصوصاً يوم الاحتفال أو يوم التمييز وهو: "يوم عرضهم (الجند) على السلطان، ويختص السلطان بلبس البرنس الأبيض الرفيع لا يلبسه ذو سيف غيره"⁹، أما الفقهاء فقد لبسوا هم أيضا البرنس الأبيض شأنهم في هذا شأن السلطان، على حين كان "العلماء وأهل الصلاح لا حرج عليهم في ذلك، ولا حرج في غير الملون مثل الأبيض من البرانس"¹⁰.

¹ المقرئ، مصدر سابق، ص223.

² ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، 1965، ص313.

³ ثريا محمود، مرجع نفسه، ص 195.

⁴ الخشني، مرجع نفسه، ص79.

⁵ ابن عذاري، مصدر سابق، ج1، ص173.

⁶ المقرئ، مصدر نفسه، ص223.

⁷ عبد العزيز مرزوق، "التحف المصنوعة من العاج"، في مجلة كلية الآداب، العدد17، جامعة القاهرة 1955، صص8-15.

⁸ عن لباس أهل المغرب أنظر: صالح بن قرية، مقدمة لدراسة الملابس المغربية. الأندلسية في العصر الإسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية.

⁹ 24 القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، تحقيق فوزي أمين ج 5، دار الكتب المصرية القاهرة 1922، ص 204.

¹⁰ نفسه، ص204.

و على العموم فقد كان البرنس من بين الأزياء التي اشترك في لبسها كل طبقات المجتمع المغربي دون فرق ، فلبسه الغني كما الفقير و السلطان كما الخادم و بالتالي فالبرنس المغربي كان من رموز و شعارات أهل المغرب كما كان يعد من الأشياء الثمينة التي تهدى للملوك والسلطين بالمشرق، فقد أهدى السلطان أبو الحسن المريني لدولة المماليك بمصر " الحلل المرقومة المذهبة والأنساق والقنع والحررات المختمة والبرانس المصنوعة من الحرير المشفف وأحاريم الصدف"¹.

و على العموم فإن ملابس أهل المغرب و الأندلس لم تكن تختلف كثيرا عن ملابس أهل المشرق، سواء من حيث الوظيفة أو الأسماء، لكن رغم ذلك فإن أزياء بلاد المغرب و الأندلس عرفت نوعا من الابتكار و التجديد بحكم وقوعها في محيط حضاري مميز غرب أوربا مهد الحضارات الغربية العريقة ، و هذا ما سوف يترك أثره دون شك في طبائع أهل الأندلس و المغرب و من بينها اختيار نوع اللباس و شكله و زخرفته .

3. التعريف بمخطوط بياض و رياض:

تعتبر هذه المنمنمات الوحيدة من هذا النوع التي تنسب لبلاد المغرب و الأندلس، صاحب هذا المخطوط مجهول و هو يحكي قصة غرامية بين شاب دمشقي يدعى (بياض) و فتاة جارية تسمى (رياض)² ، كما تكلم هذا المخطوط عن شخصيات أخرى لها علاقة بفصول هذه هذه القصة و هي العجوز التي كانت واسطة بين الشابين، و سيده الفتاة رياض و النسوة اللاتي ظهرت صورهن في بعض الرسومات، غير أنه وبسبب ضياع أغلب أجزاء هذا المخطوط لم يكن من الممكن تحديد لا بداية و لا نهاية لتلك القصة أو باقي أحداثها، و تعتبر الصور المجودة في هذا المخطوط من أقدم المنمنمات و أهمها في بلاد المغرب إذا ما قورنت بمخطوطات بلاد الإسلام في الشرق التي وصلنا منها نماذج كثيرة من هذه المنمنمات، أضف إلى ذلك ما لحق مثل هذه الكتب المزوقة في بلاد المغرب و الأندلس من تخريب دون شك، خاصة جراء عمليات الحرق التي طالت المؤلفات في العصرين المرابطي و الموحيدي³ لعدة عوامل أهمها الدينية و السياسية.

يحتوي هذا المخطوط على 30 ورقة بما 15 منمنمة و هي محفوظة في خزانة الفاتيكان⁴ و الجدير بالذكر أنه هناك خلاف حول الجهة التي ينسب إليها هذا المخطوط أو صاحبه ، فمنهم من يرى أن تلك المنمنمات من عمل مصور مغربي⁵ ، و هناك من اعتبر أن قصة الحب بين رياض و بياض هي قصة اسبانية⁶ ، بينما يرى آخرون أن قصة الحب وقت فصولها في الأندلس، أما عفيف بمنسي فقد أورد احتمالين في هذا الشأن أولهما أن المخطوط أنجزت صورته في المغرب أو الأندلس و الثاني أن الأحداث جرت في شمال العراق⁷ .

إضافة إلى الاختلاف حول الجهة التي ينتسب إليها هذا المخطوط ،هناك اختلاف آخر حول تاريخه⁸ فمنهم من يرجعه إلى أواخر عصر الدولة الموحدية في القرن السابع الهجري، و منهم من يرجعه لعصر الدولة المرينية في القرن الثامن الهجري¹ .

26 ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغار، تقديم محمد بوعبيد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981، ص 453. 452.

27 عبد الحفيظ الحسني، الرسم و المنمنمة في المغرب إبان العصرين المريني و السعدي، مطبوعات أمينة الأنصاري، ط1، فاس 2014، ص92.

³ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة 1963، ص131.

⁴ عبد الحفيظ الحسني، مرجع سابق، ص 94.

⁵ إبراهيم الكتاني، "الكتاب المغربي و قيمته"، في مجلة الحكمة، العدد 12، 1997، ص388.

⁶ محمد محرز، التصوير الإسلامي و مدارسه، دار القلم، القاهرة 1962، ص44.

⁷ عفيف بمنسي، جمالية الفن العربي، عالم المعرفة، عدد14، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت ، ص82.

⁸ عبد الحفيظ الحسني، مرجع نفسه، ص90.

و لقد أمكننا من خلال هذا المخطوط أن نتعرف على بعض التفاصيل التي تتعلق بالحياة اليومية و الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب والأندلس، و خاصة التعرف على بعض الأنواع من الأزياء التي ظهر بها شخصيات القصة في المنمنمات، و مقارنتها بالأوصاف التي ذكرت في المصادر التاريخية، والتي دون شك فهي تعتبر نوع من ألبسة أهل المغرب و الأندلس في تلك الفترة، و من خلالها سوف أتطرق إلى دراسة تلك الأزياء من حيث الشكل و النوع و الزخرفة و الألوان معتمدا الأسلوب الوصفي التحليلي.

بالرغم من ذلك فان صور هذا المخطوط لا تعطينا فكرة قطعية عن نوع الأزياء و المنسوجات في بلاد المغرب و الأندلس، و ذلك لغياب الكثير من أوراق هذا المخطوط و جهلنا بصاحبه من جهة ، و من جهة أخرى انعدام نماذج أخرى لهذا النوع من المخطوطات المزوقة الخاصة بهذا الجزء من بلاد الإسلام ، زيادة على ذلك درجة التلف المتقدمة التي تعاني منها الوريقات الباقية من المخطوط و عدم وضوح جميع الصور، بحيث يتعذر علينا الإلمام بكل الجوانب الفنية المحتملة في هذا المخطوط ، من زخارف و ألوان و كتابات و ملامح الأشخاص و غير ذلك من الأشياء المهمة في مثل هذه الدراسات.

3 4. الملابس الظاهرة في الصور :

ظهرت في هذا المخطوط مجموعة مختلفة من الأزياء التي كان يلبسها شخصيات القصة المذكورين سابقا ، و من خلال بعض الصور سوف نحاول استخراج نماذج و أشكال من الملابس التي ارتبطت بتلك الفترة و التي قد ترجع إلى فترة أواخر الدولة الموحدية أو المرينية كما ذكرنا سابقا، و محاولة معرفة نوع هذه الألبسة و أسمائها و مقارنة ذلك مع ما جاء ذكره في المصادر التاريخية.

● **الصورة الأولى:** في هذه الصورة نتعرف على نوعين من الألبسة ، واحد خاص بالعجوز و اللباس الثاني رجالي و هو الذي يلبسه بياض ، أما تفصيل لباس العجوز كما هو ظاهر يتكون من قطعتين، القطعة الأولى عبارة عن قميص بنفسي اللون أو وردي بأكمام عريضة مطرزة بشريط ذو لون مذهب، و فوق هذا القميص تضع العجوز الإزار² أو الملحفة³ بلون أخضر غامق يغطي جميع بدنها من الرأس حتى القدم

أما ثوب رياض فهو كما يبدو عبارة عن قطعتين، و هي قفطان⁴ أخضر اللون مطرز بشريط ذهبي عند الرقبة- و قد يكون ديباجا- ومن فوقه جبة برتقالية اللون بأشرطة عمودية أو عباءة و الجبة حلة طويلة قصيرة الأكمام⁵، و على رأسه قلنسوة بنفسجية اللون.

● **الصورة الثانية:** بالنسبة للباس العجوز لم يتغير سوى لون الإزار الذي كان أخضرا ثم صار برتقالي، أما الرجل فالظاهر أن لباسه عباءة أيضا أو قميص برتقالي اللون بكمين عريضين و مطرزين بأشرطة ذهبية و يضع فوق رأسه قلنسوة أو عمامة سوداء حادة بدون ذؤابة⁶.

● **الصورة الثالثة:** الرجل الواقف يظهر أنه ذو مقام رفيع ، فلباسه عبارة عن قميص أو قفطان ديباج بأكمام ضيقة مطرز بأشرطة في نهاية الكمين و على مستوى العضد و في الرقبة، و قد يكون هذا اللباس هو الإشكرلاط أو الجوخ⁷ القرمزي الذي أخبرنا عنه المقري في نفتح

¹ إبراهيم الكتاني، مرجع نفسه، ص388.

² دوزي، مرجع سابق، ص31-39.

³ نفسه، ص343.

⁴ رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، تقدم محمد فهمي حجازي، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة2002، ص399

⁵ نفسه، ص105.

⁶ الذؤابة : هي ما يسترسل من أطراف العمامة على الكتفين. أنظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، ص 185.

⁷ نسيج من الصوف و هو ثوب قصير الكمين و البدن بغير بطانة من تحته و لا غشاء من فوقه.

الطيب أن الأندلسيين في الشرق كانوا يتشبهون بالنصارى المجاورين لهم ، و هذا ما يبدو على ثوب و هيئة هذا الرجل، كما اتخذ قلنسوة بنفس اللون بلا ذؤابة و يضع على كتفه طيلسان أخضر¹، أما الرجل المستلقي على الأرض فقد لبس قميص مشدود في الوسط بحزام و يظهر من أسفله أنه يلبس سروالا أبيضاً ، و يضع عمامة بيضاء بذؤابة طويلة.

● **الصورة الرابعة:** نشاهد في الصورة الرابعة أربعة أزياء بثلاثة أنواع ، اثنان منها متشابهة تلبسهن امرأتين مكشوفتي الرأس، وهي عبارة عن قمصان نسوية خضراء اللون أو دراعات بأكمام عريضة مطرزة بأشرطة ذهبية، و شريط على الرقبة، أما اللباس الثالث للمرأة أقصى اليسار فهو يتكون من قطعتين واحدة بنفسجية والأخرى سوداء، أما البنفسجية فالظاهر أنها الملحفة أو الإزار والقطعة السوداء تكون القميص أو العباءة، و من هنا يظهر أن هذه الأخيرة كانت خارج المجلس أو تنوي الخروج منه لارتدائها الملحفة ،بينما المرأتين مكشوفات الرأس دليل على قرارهن في المجلس.

أما لباس الرجل فهو قميص برتقالي اللون، واسع الكمين بأشرطة ذهبية و جبة سوداء و يضع فوق رأسه عمامة صغيرة صفراء اللون وهي ما يسمى التخفيفة.

● **الصورة الخامسة:** و تحتوي على مجموعة من الألبسة تقريبا متشابهة و التي هي عبارة عن قمصان أو عباءات فضفاضة بألوان مختلفة، و الجديد في الصورة هو القلنسوة البنية الخاصة بالسيدة على اليسار و هو يشبه إلى حد كبير أغطية الرأس المغولية التي نراها في المنمنمات التي تعود لتلك الفترة ،حيث نلاحظ وجود زوائد منها تقع على الأذنين لحمايتها من البرد في فصل الشتاء، و هو يحتوي على خطوط منحنية ما يمثل زحرفة معينة، كما يضع العازف على آلة العود هو الآخر عمامة أو قلنسوة كبيرة لوغها بنفسجي.

● **الصورة السادسة:** تلبس المرأة الواقفة رداءً أو عباءة بخطوط برتقالية و صفراء بأكمام واسعة مطرزة و قد طرزت الرقبة بأشرطة صفراء أيضاً، و تضع على كتفيها إزارا بنفسجياً ، أما المرأة في اليمين فلباسها قميص أخضر مطرز الكمين و الرقبة و تضع على كتفيها إزارا و تعتمر قلنسوة صفراء بها زخارف هندسية بلون برتقالي .

● **الصورة السابعة:** نلاحظ أن لباس السيدة على اليمين عبارة عن قميص برتقالي اللون أو دراعة بأشرطة صفراء حول الرقبة و على مستوى الأكمام العريضة ، و تلبس فوقها ما يشبه الساج² أو الطيلسان الضخم و قد يكون إزارا، و تضع فوق رأسها قلنسوة كبيرة صفراء اللون وهي تاج يشبه الغيمة .

3 2. تحليل النتائج:

من خلال استعراضنا لصور الملابس الظاهرة في منمنمات مخطوط حديث بياض و رياض، اكتشفنا بأن نوع الملابس و الأردية تتطابق أوصافها و أشكالها تماما مع ما أوردته المصادر التاريخية - كما ذكرنا في مستهل القول - ، و كما جاء ذكرها في معجم الملابس لـ "دوزي" و من هنا نتضح لنا مصداقية تلك المصادر التاريخية و حرص أصحابها على تحري الصدق و الأمانة و إلمامهم بالحياة الاجتماعية و الثقافية و السنة السكان المختلفة (لباس واحد بأسماء مختلفة) في الحواضر الإسلامية التي عاشوا فيها أو زاروها في حياتهم، دون أن ننسى اهتمامهم بالأخبار نقلا دون تزيف أو تحريف.

¹عبد الجواد ابراهيم ، مرجع نفسه ، ص306.

² انظر: دوزي، ص234.

تكمن أهمية هذه المنمنمات أيضا في إبراز الحس الفني الذي تميز به الفنّان المسلم في بلاد المغرب و الأندلس تلك الفترة، من خلال الدقة في الرسم و اختيار الالوان و الزخارف المتنوعة و الاعتناء بإطار الصورة دون احترامه لأبعادها الرئيسية (صور مسطّحة)، و اختيار الأرضية المناسبة لكل مشهد من مشاهد تلك الصور.

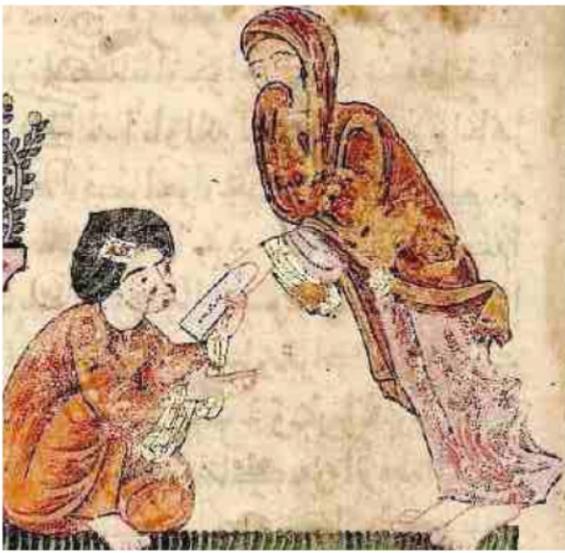
بما أن الملابس و المنسوجات عموما تعد موادا عضوية سريعة التلف و الاندثار ، و أن النماذج للملابس المغربية الأندلسية الحقيقية لم يصلنا منها شيئا كبيرا ، فتُعد هذه المنمنمات بمثابة الشاهد المادي الأصلي لنوع الملابس و الأزياء العربية الاسلامية في بلاد المغرب و الأندلس و بالتالي تعطينا صورة مرئية للحياة الاجتماعية و الثقافية السائدة في ذلك الزمان .

4 - خاتمة :

من خلال تناولنا لتحليل الصور التي تضمنها مخطوط " حديث بياض و رياض" ، استطعنا أن نتعرف على بعض النماذج من الألبسة المغربية - الأندلسية التي كانت سائدة في المنطقة و بالخصوص في أواخر الدولة الموحدية و بداية الدولة المرينية ، كما أمكننا التعرف على ملامح سكّان المنطقة و بعض عاداتهم من خلال شخصيات القصة الظاهرين في الصور، التي لا تختلف كثيرا عن عادات الوقت الحاضر كحب اللّهو و الموسيقى و كشف الرأس للنساء و نقل الأخبار .

و في الأخير تجدر الإشارة إلى أنه توجد الكثير من صور المنمنمات في المخطوطات الاسلامية النادرة و التي يمكن الاستفادة منها مستقبلا في إنجاز دراسات علمية من جميع الجوانب (تاريخية، أثرية، فنية، سوسولوجية، عمرانية و بيئية) و ذلك لاحتواء تلك الصور على تفصيلات عديدة تجعل منها مصدرا هاما في تاريخ الشعوب الاسلامية في كامل بقاء الأرض، خصوصا و أن تلك الصور اشترك في رسمها الفنانين المسلمين عربا و عجماء.

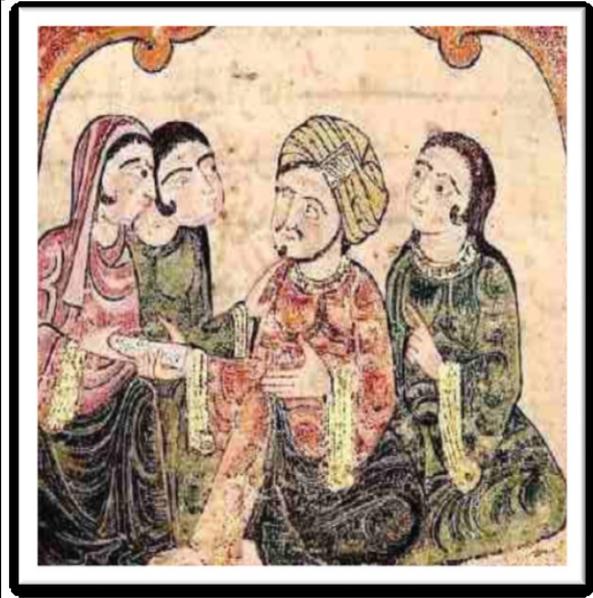
5 - الملاحق:



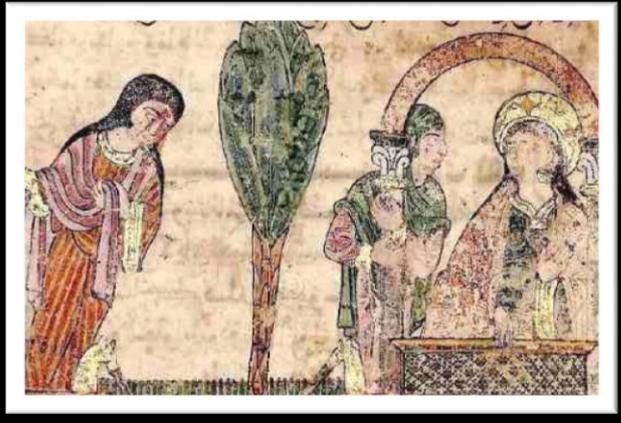
صورة رقم 2 عن عبد الحفيظ الحسني ص 71.



صورة رقم 1 عن عبد الحفيظ الحسني ص 69.



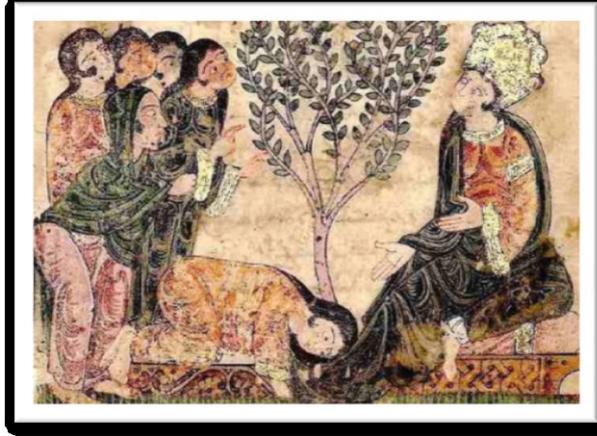
صورة رقم 4 عن عبد الحفيظ الحسني ص 76.



صورة رقم 6 - عن عبد الحفيظ الحسني ص 67.



صورة رقم 5 - عن عبد الحفيظ الحسني ص 64.



صورة رقم 7 - عن عبد الحفيظ الحسني ص 81.

6 - البيبليوغرافيا:

* المصادر:

- ابن عذاري (أبو العباس المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق كولان و ليفي بروفنصال، دار الثقافة بيروت، 1983، ابن حيان، (القرطبي) المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان الحجي، دار الثقافة بيروت، د ت.
- ابن عبدون، (محمد بن أحمد التجيبي) رسالة القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنصال، مطبعة المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955.
- ابن منظور، (جمال الدين الأنصاري) لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت 1965.
- ابن مرزوق، (أبو عبد الله بن محمد التلمساني) المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغار، تقديم محمد بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981
- ابن حوقل (محمد أبو القاسم)، كتاب صورة الأرض، ج1، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، 1928.
- الحشني (أبو عبد الله محمد القروي)، قضاة قرطبة و علماء إفريقية، تحقيق عزت العطار، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1905.
- القلقشندي (أبو العباس شهاب الدين)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا تحقيق فوزي أمين ج 5، دار الكتب المصرية القاهرة 1922.
- المقري (أحمد بن محمد التلمساني)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس ط1، دار صادر بيروت 1968.
- المراكشي (محيي الدين عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963.

• المراجع:

- حسين (دويدار)، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة 1994.
- عفيف (بهنسي)، جمالية الفن العربي، عالم المعرفة، عدد14، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- عبد الحفيظ (الحسني)، الرسم والمنمنمة في المغرب إبان العصرين المريني والسعدي، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس 2014.
- عبد المنعم (الصاوي)، معالم الحضارة في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1995.
- رينهارت (دوزيه)، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، 2011.
- رضا (كحالة)، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، القاهرة 1981.

رجب ابراهيم (عبد الجواد) ، المعجم العربي لأسماء الملابس، تقديم محمد فهمي حجازي، دار الأفاق العربية، القاهرة 2002.
محمد (محرز)، التصوير الإسلامي و مدارسه، دار القلم، القاهرة 1962.

● المقالات:

إبراهيم الكتاني، "الكتاب المغربي و قيمته"، في مجلة الحكمة، العدد 12، 1997.
ثرثا محمود، "أزفاء المجتمع الأندلسي من سنة 92هـ إلى 625هـ"، في مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة ديالى.
عبد العزيز مرزوق، "التحف المصنوعة من العاج"، في مجلة كلية الآداب، العدد 17، جامعة القاهرة 1955.